إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الثالثة عشرة – العدد التاسع والأربعون – ربيع ١٤٠٢ش / آذار ٢٠٢٣م

صص ١٣٣ ـ ١٥٢

دراسة مفهوم الحرية فى القصائد الملحمية لمحمود درويش وأحمد شاملو (بالتركيز على آراء جان بول سارتر)

سارا قياسى*
سيدبابک فرزانه (الكاتب المسؤول)**
عبدالحسين فرزاد***
سيدابراهيم ديباجى****

الملخص

يعتبر مفهوم الحرية من أكثر المفاهيم الشعرية شيوعًا فى الشعر الملحمى الحديث والذى أصبح من أهم الموضوعات فى حياة الإنسان المعاصر متأثرا بالمدارس الفلسفية وخاصة فلسفة الوجودية. وقد لعب الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر، أحد مؤسسى الفلسفة الوجودية، دورًا مهمًا فى انتشار الأفكار الوجودية وترک تأثيرا عميقًا على أفكار الادباء. يعتبر محمود درويش شاعر المقاومة الفلسطينية وأحمد شاملو الشاعر الإيرانى المعاصر، من الشعراء البارزين الذين ينعكس مفهوم الحرية على نطاق واسع فى قصائدهم، ودراسة أشعارهم تكشف عن بعدها الفلسفى والوجودى. يحاول البحث الحالى مقارنة أفكار درويش وشاملو حول الحرية معتمدا على آراء سارتر وتحليل أوجه التشابه فى شعرهما وربما فحص الاختلافات بينهما. وفقًا لنتائج البحث فإن مفهوم الحرية فى موقف درويش وشاملو له بعد فلسفى ولا يقتصر على الحرية الفردية بل يشمل المجتمع بأسره. يتماشى مفهوم الحرية فى نظرتهما للعالم تمامًا مع آراء سارتر كتقدم الوجود على الماهيّة والخوف وقبول المسؤولية، وإنكار القوى الميتافيزيقية، وعدم استقرار الماهية، والعلاقة بين الموت والحرية.

الكلمات الدليلية: الحرية، سارتر، القصيدة الملحمية، محمود درويش، احمد شاملو.

*. طالبة الدكتوراه فى اللغة العربية وآدابها، فرع العلوم و تحقيقات، **جامعة آزاد اسلامية**، طهران، إيران
**. أستاذ فى اللغة العربية وآدابها، فرع العلوم و تحقيقات، جامعة آزاد اسلامية، طهران، إيران
dr.farzaneh@gmail.com
***. أستاذ مشارک فى اللغة الفارسية وآدابها، معهد الدراسات الإنسانية والثقافية، طهران، إيران
****. أستاذ فى اللغة العربية وآدابها، فرع العلوم و تحقيقات، جامعة آزاد اسلامية، طهران، إيران
تاريخ الاستلام: ١٤٤٣/٠٧/١٠ق تاريخ القبول: ١٤٤٤/١٢/٠١ق

المقدمة

الشعر الملحمى الحديث هو انعكاس للظروف السياسية والثقافية والاقتصادية التى تحكم المجتمع و يضع الإنسان فى مركز الاهتمام. والحرية تعتبر إحدى الموضوعات الرئيسية فى هذا الأسلوب الملحمى الحديث التى تستخدمه الشعراء الملتزمون. أدى إلمام الشعراء المعاصرين بالمدارس الفلسفية الجديدة إلى تعمق شعرهم دلاليا فعلى القارئ أن يبذل مجهودا أكثر لسبر أغوار النص الشعرى وصولا إلى أعماق الفكرة لدى الشاعر. اما الفلسفة الوجودية هى إحدى المدارس الفلسفية الحديثة التى ظهرت فى العصر الحديث. و سارتر الذى يعتبر من أبرز الفلاسفة الوجوديين يقسم أتباع هذه الفلسفة إلى فئتين: مسيحى (يعتقد بالله) وملحد (يجحده). فهو يقول: «الوجوديون المسيحيون الذين يكون من ضمنهم جاسبير ومارسيل الكاثوليكيين، وهايدجر والوجوديون الفرنسيون أتباع عقيدة الوجودية الإلحادية وأنا من أتباع هذه العقيدة.» (سارتر ، ١٩٦٩: ١٥) المفهوم الأكثر وضوحا فى رأيه هو الحرية، و«الإنسان فى نظره كائن حر يمتلك سلطة غير محدودة ويمكنه ممارسة إرادته على كل شيء فى الطبيعة.» (نوالى، ١٣٧٣: ٤٢) وعلى أساس هذه الفكرة يعتبر الإنسان كائنا مبدعا يمكنه أو تكوين حياته حسب رغباته وبعدما دخلت هذه الفكرة إلى عالم الأدب وضع العديد من الأدباء المتأثرين بسارتر مكانا خاصا للانسان فى أعمالهم. فهكذا يشرح الشاعر المعاصر بنظرة إنسانية مفهوم الحرية فى القصائد الملحمية ويجعل الإنسان بطل قصته. محمود درويش وأحمد شاملو شاعران حداثيان تحكم شعرهما الملحمة وقد امتزجت نزعتهما الملحمية بالأفكار الوجودية. ورغم الفروق فى الشخصية الفردية والاجتماعية لهذين الشاعرين تعد الحرية واحدة من أكثر الموضوعات شيوعا فى شعرهما فيمكن دراسة تأثرهما بنظريات سارتر الوجودية حول مفهوم الحرية و فحص أوجه التشابه فى آرائهما.

أسئلة البحث

يحاول هذا البحث العثور على إجابات مناسبة لأسئلة منها: كيف وإلى أى مدى

تشترک أفكار درويش وشـــاملو مع أفكار سارتر الوجودية حول الحرية؟ ما هو دور المؤثرات عبرالنصية فى توافق آراء درويش وشـــاملو حول المفهوم الوجودى للحرية فى قصائدهم الملحمية؟

فرضيات البحث

يبدو أن درويش وشاملو متأثران كثيرا بسارتر فى معظم أفكارهما الوجودية حول مفهوم الحرية وتوصلا إلى فهم مشترک لمفهوم الحرية.

- يبدو أن نهج شاملو فى التعبير عن آراء معينة حول الحرية يكون أكثر صراحة وأقرب إلى آراء سارتر الإلحادية.
- يبدو أن الاســـتبداد والقهر واحتلال البلد بيد الأجانـــب والظلم الاجتماعى والقمع والفقر الفكرى والثقافى والاقتصـــادى تكون مادة الأفكار الوجودية لكل من درويش وشاملو.

خلفية البحث

تمت دراســـة مفهوم الحرية فى شعر درويش وشـــاملو فى مؤلفات عديدة منها: ١- أحمد جوانمرد فى رســـالة ماجستير بعنوان "دراســـة موضوعات الوطن والحرية فى قصيدة محمود درويش" (٢٠١٠) وتم ذلک بإشـــراف الدكتورة فاطمة قادرى فى جامعة يزد. توصل البحـــث إلى أن مفهوم الحرية قد تجلى فى موضوعات كالنضال والمقاومة، والدعوة إلى الثورة، والأمل فى المستقبل، والتضحية من أجل تحرير البلاد. ٢- عباس محمديان ومـــريم غفارى جاهد، فى مقالهما "مفهوم الوطـــن والحرية فى قصائد ملک الشعراء (بهار) ومحمود درويش" (٢٠١٧) استنتجا أن الشغل الشاغل لهذين الشاعرين كان إنقاذ الوطن من تســـلل الأجانب واحتلالهـــم له. ٣. خلص أحمد جوانمرد وفاطمة هيبتى فى مقالهما "دراســـة مضمون الحرية وتجلياتها فى شـــعر محمود درويش، شاعر المقاومة الفلســـطينية" (٢٠١٦)، إلى أن درويش استخدم لغة الرمز للتجنب من الرقابة الإسرائيلية على قصائده ونشر أفكاره عن الحرية فى ظروف السجن القاسية. ٤. وقام

أحمد درويش فى مقالته "ملامح التجسيد الفنى لظاهرة الحرية فى شعر محمود درويش" (١٩٩٢) بدراسة دور الوزن والموسيقى فى قصائده القومية والتى كتبت عن الحرية. ٥. خلص عبد الحسين فرزاد وزملاؤه فى مقالهم "نظرة مقارنة إلى مفهوم الحرية عند أحمد شاملو وأحمد مطر" (٢٠٢٠) إلى أن كلا الشاعرين اعتبرا مهمة الشعر الحرية، لكن لغة مطر أكثر حدة وصرامة من شـــاملو. ٦. راضيه كارآمد وحســـين ميرزائى نيا فى مقال بعنوان "مفهوم الحرية فى قصائد نزار قبانى وأحمد شـــاملو" (٢٠١٧) توصلا إلى نتيجة مفاده أن شاملو وقبانى يدينان الاســـتبداد ويعتبران الكفاح المسلح أحد سبل تحقيق الحرية.

والمقالات المقارنة بين قصائد درويش وشاملو من ضمنها: ١. فاطمة بخيت وآخرون (٢٠١٣)، ســـيميائية العنوان فى قصيدتى شبگير لأحمد شاملو و ليل يفيض من الجسد لمحمود درويش (دراســـة مقارنة) ٢- برويز أحمد زاده هوچ وآخرون (٢٠١٧)، دراسة مقارنة لتجليات المقاومة فى قصائد شاملو ودرويش. ٣- عيسى زارع درنيانى وفاطمة مســـعودى زاده (٢٠١٩) دراســـة مقارنة للتمثيل فى شعر محمود درويش وشاملو. ٤- شيرزاد طايفى ومريم محمد زاده (٢٠١٧) قراءة مقارنة للرمزية الاجتماعية فى قصائد أحمد شاملو ومحمود درويش.

والمقالات التى كتبت حول الفلسفة الوجودية فى قصائد درويش وشاملو منها: ١. صادق جقتايى وزهرا فدوى فى مقال "تحليل أسس أصالة الوجود فى شعر وفكر شاملو (مع التركيز على الوعى والحرية والمســـؤولية)، درسا انعكاس مفاهيم الوعى والحرية والمســـؤولية والإنســـانية والموت" و تحدثا فيه عن تأثر الشاعر بالفلاسفة الوجوديين. ٢. فرهاد رجبى فى مقاله "تحليل وجودى لشـــعر شاملو وأدونيس" (الأغانى الصغيرة للغربة وأغانى مهيار الدمشـــقى أنموذجا) (٢٠١٨)، قـــام المؤلف بتحليل وجهات النظر الوجودية لشاملو وأدونيس فى مواضيع مثل الأنطولوجيا والتناقض والوحدة ووجود الآخر ،الصيرورة وتمثيل الإنســـان. ٣. محمد محمود أبو على فى كتابه "ملامح الفلسفة الوجودية فى شـــعر محمود درويش: قراءة فى ضوء النقد الثقافى" (٢٠١٣) قام بدراسة أفكار درويش الوجودية. لقد درســـت الأبحاث السابقة مفهوم الحرية فى قصائد هذين

الشاعرين بشـــكل منفصل أو بمقارنة مع شـــعراء عرب وإيرانيين آخرين، أو انتقدت أفكارهما الوجودية كلا على حدة. وقارن البعض قصائد هذين الشاعرين مركزين على مجالات منها ســـيميائية العنوان وأدب المقاومة والتمثيل. ولكن لم يتم العثور على بحث مستقل من شأنه أن يدرس مفهوم الحرية بناء على وجهة نظر سارتر فى قصائد درويش وشاملو، ويبدو أن هذه الورقة تكون أول بحث متخصص فى هذا المجال و أهم ابتكار فيه هو التركيز على آراء سارتر مؤكدا على البعد الفلسفى لمعنى الحرية.

سارتر ونظرته إلى الحرية

جان بول سارتر من الفلاسفة الوجوديين الأكثر تأثيرا و قدتطورت فلسفة الوجودية مع سارتر ولم تقتصر على إطار الفلســـفة، واكتسحت مجال الأدب والدراما والمسرح. اســـتخدم ســـارتر الرواية والدراما لشرح أفكاره الفلســـفية، على عكس الوجوديين السابقين، كيركجور، نيتشه، وهايدجر، الذين عبروا عن آرائهم الفلسفية فقط بمقالاتهم وكتبهم. فالمفهوم الأكثر جوهرية فى نظر سارتر هو الحرية التى لها علاقة مباشرة بوجود الإنسان «فلا يوجد تمييز بين وجود الإنسان وحريته وهما متساويان، وماهية الإنسان مرتبطة بحريته، وما نسميه الحرية لا يمكن فصله عن الوجود الحقيقى للإنسان.» (سارتر، ١٩٦٦: ٧٠٤؛ شـــارونى، د.ت: ١٣٣) إنه يقدم الحرية على الوجود قائلا «الحرية فى الإنسان مسبوقة بوجوده، والأساس الإنســـانى خلقته الحرية.» (سارتر، ١٣٨٩: ٣٩) «الحريـــة والوجود مفهوم واحد، والحرية هى نســـيج الوجود ومبدأه، والإنســـان حر بطبيعته، والحرية مصير لا مفر منه.» (رشـــوان، ١٩٩٢: ١٠٧) بمعنى أن الانســـان فى هذا العالم، حر فى اختيار طريق حياته وتشـــكيل حياته كما يشاء. «إنه يعتبر الحرية القيمة الحقيقية الوحيدة ويعتقد أن الحرية هى أساس كل القيم والمصدر الوحيد المولدة للقيم.» (ســـارتر، ١٣٨٦: ٣٠) هذا ما يجعل سارتر أن يعتقد فى الحرية المطلقة للإنسان ف«الإنسان حر فى اختيار كل شـــىء إلا العبودية والانعتاق ولا يمكن لأى قانون أن يمنعه من أن يكون حرا.» (خفاجى، ١٩٩٥: ١٨٠-١٨١) وعليه فإن الحرية موجودة فى كل حال ولا شىء يمكن أن يدمرها.

الحرية تعنى المسؤولية الاجتماعية والالتزام

يرتبط مفهوم الحرية فى رأى سارتر ارتباطا وثيقا بالمسؤولية وهو ينقسم إلى نوعين فردية واجتماعية؛ فلا تقتصر الحرية على الفرد بل تشـــمل المجتمع بأسره. يعتقد سارتر أن «الفرد الانسانى يختار جميع البشر باختياره.» (سارتر، ١٣٨٠: ٣١) وهذا يدل على البعد الاجتماعى وعبر الشـــخصى للحرية، وأن مصير جميع البشر متشابک بعضهم فى البعض. يقول سارتر عن المسؤولية الاجتماعية الإنسانية: «أنا مسؤول عن نفسى وعن البشـــرية جمعاء و أخلق شكلا معينا للبشرية كما سأكون أنا بنفسى ومن خلال تكوين نفسى، أكون الإنسانية.» (ســـارتر، ٢٠٠٧: ٣٠) وحرية الناس مترابطة مع بعضهم كما يقول ســـارتر: «الإنسان ملزم بالســـعى من أجل حرية الآخرين كما يسعى من أجل حريته الخاصة لذلک لا يمكن أن تكون الحرية هدفا محددا للانســـان اذا لم يعتبر حرية الآخرين هدفا مماثلا له.» (ســـارتر، ١٣٨٠: ٦٨-٦٩) أى أن البشر يؤثرون على حياة الآخرين من خلال أفعالهم وهذا يضاعف مسؤوليتهم.

إن النهج الملتزم لشـــعر درويش يجعله يعالج أحزان شـــعب بلاده ويعتبر مصيرهم مصيره. وهو يحمل نفســـه المسؤولية حيال جميع الفلسطينيين ويسعى من أجل حريتهم و الشاعر الذى لا يبالى بقضايا بلاده خائن للوطن فى نظرته ويعتبر أن مهمة الشاعر هى التعاطف مع الفقراء.: يا رفَاقِي الشُـــعَرَاء! / قَصَائِدُنَا، بِلا لَونٍ / بِلا طَعم ... بِلا صَوتٍ! / إذَا لَم تَحمِلِ المِصبَاحَ مِن بَيتٍ إلى بَيتٍ / وَإن لَم يفهِم «البُسَـــطَاءُ» مَعَانِيهَا / فَأولى أن نُذَرّيهَا / وَنَخلُدَ نَحنُ ... لِلصَمتِ. (درويش، ٢٠٠٥: ٦٣/١)

يشعر شاملو أيضا بالمسؤولية أمام مجتمعه وشعب وطنه ويحاول أن يكون مع الناس الذين ترعرع بينهم. ويعتبر مهمة الشاعر التعبير عن آلام الناس العاجزين الذين انحنت ظهورهم تحت وطأة أحذية الطواغيت: هو يكتب الشـــعر، أى إنه يلمس جراح المدينة القديمة / هو يكتب الشعر أى إنه يصرخ بآلام مدينته ومنزله. (شاملو، ١٣٩٤: ١٤٦)

يتفق كلا الشاعرين مع ســـارتر على التنشئة الاجتماعية للإنسان، ويعتبران التزام الأديب بالمجتمع ومعالجة مشـــاكل الناس بيده كمصلح اجتماعى تمهيدا لتحقيق مفهوم حرية الإنسان.

ودرويش يتحمل سنوات من السجن من أجل حرية بلاده لأنه يعتقد أن مصيره مرتبط بمصير بلاده وإنه مسؤول أمام المجتمع بقدر ما هو مسؤول تجاه نفسه. كما أن حرية بلاده هي حريته فلا ينتهك حقوق الضعفاء ويساعدهم.: أنا صَادَقتُ أحذِيةَ الصّبيةِ الضُعَفَاءِ / أنا قَاوَمتُ كلَّ عُرُوشِ القَياصِرَة الأقويا / لَم أبِع مَهَرَتِي فِي مَزَادِ الشُعَارِ المُسَاوِمِ / لَم أذُق خُبزَ نَائِمٍ / لَم أُسَاوِم. (درويش، ٢٠٠٥: ٣/ ٣٤٥)

كما أن شاملو لا يعتبر نفسه منفصلا عن الناس ويتنفس في أجواءهم ويتعاطف مع آلامهم، ولا يعتبر نفسه متفوقا على الشعب. و هكذا يفسر الحرية: كن مع الناس، وافهم قلوبهم بقلبك واجعل قصيدتك كلمات تنبثق من قلوبهم: الشعر اليوم هو سلاح الشعب / لأن الشعراء هم أغصان من غابة الشعب / وليسوا زهرة ياسمين أو سنبلة في مشتل شخص ما / شاعر اليوم ليس غافلا عن آلام الخلق المشتركة: /هو يبتسم بشفاه الناس / يزرع آلام الناس وآمالهم في عظامه/ فأنا بحثت في الشوارع و الأزقة و أدركتُ أن كل موضوعات قصائدى تكون الناس كلهم. (شاملو، ١٤٠٢: ١٤٤)

النزعة الشعبوية وقبول المسؤولية الجماعية عند درويش وشاملو تمثلان وجهة نظر سارتر الملتزمة بالأدب والمجتمع و أن حرية الإنسان تتحقق من خلال التفاعل والتفكير المتبادل والتفاهم المشترك.

يرى درويش الحرية أنها قبول للمسؤولية العامة ويعتقد أن الحرية لن تتحقق فقط من خلال صراخه وجهده، ولكن يجب على جميع الفلسطينيين الوقوف والشعور بالمسؤولية تجاه بعضهم البعض. لذا فإن إرادة الجماعة هي التي تؤدى إلى تفاهم وتعاطف واسعين: فَمِن عَزمِي / فَمِن عَزمِك / وَمِن لَحمِي / وَمِن لَحمِك / نُعَبّدُ شَارِعَ المُستَقبِلِ الصَاعِد. (درويش، ٢٠٠٥: ٧٣)

و كما رأينا في شعر درويش، يلتزم شاملو أيضا بالمجتمع الذى تعيش فيه ويرى جميع أفراد المجتمع مرتبطين مع بعضهم. إنه يرى واجبه الرفق بأخيه الإنسان ويحسب قلبه ملاذا لكل من عانى و تألم: تعالوا يا أصدقائى / بآلامكم / وانفضوا عبء آلامكم في قلبى. (شاملو، ١٣٩٤: ١٧٥)

إن تعاطف درويش وشاملو مع المجتمع والطبقة الدنيا هو انعكاس للجانب ماوراء

الشخصى للحرية من وجهة نظر سارتر التى يتطلب تحقيقها حكمة جماعية.

الحرية والخوف

ترتبط الحرية ارتباطا مباشـــرا بالخوف وعندما يتحمل المرء المسؤولية يكون المرء فى حالة من الذعر لأنه يدرک أنه وحيد فى هذا الطريق. يقول سارتر: «عندما يتحمل قائد الجيش مســـؤولية الهجوم ويرســـل عددا من الأشخاص نحو الموت يقرر أن يفعل ذلک بنفسه وهو الوحيد الذى يصنع القرار. مثل هذا القائد لا يمكن أن لايشعر بالقلق.» (ســـارتر، ١٩٧٣: ٣٢) يظهر هـــذا القلق للفرد أنه حر ويجب أن يغـــير الحالة الأولية والبدائية لماهيته. يجب على الشخص الذى يقبل المسؤولية أن يقاوم الصعوبات ولايقنع نفسه بأنه لا يمكن أن يكون حرا ويتحمل المسؤولية. وفقا لسارتر، الخوف لايتعارض مع حرية الإنســـان وارادته فهو يقول: «القلق ليس عقبة أمام العمل وصنع القرار بل على العكس إنه شـــرط ضرورى للعمل.» (سارتر، ١٣٨٠: ٣٧) يمكن إطلاق صفة الحر على الشـــخص اذا تغلب على هذا الخوف ولم يخدع نفســـه أو لم يقل إنه لا يستطيع فعل أى شىء لتغيير حياته. يوضح سارتر فى رواية *"عصر العقل"* (Age of Reason) من خلال شـــخصية بوريس نتيجة الهروب من الخوف: «كان بوريـــس دائما خائفا من التعرض للسخرية؛ لم يكن يريد أن يخدع نفسه فيفضل عدم قول أى شىء و يتركهم يعتقدون أنه ليـــس لديه فكرة. فهو كان يرى هذه الطريقة أكثر قبولا لطبيعته.» (١٩٦٠: ١٦٢) نتيجة هذا الخوف هى الافتقار إلى الحرية وعدم النمو، لذلک يجب على المرء ألا يخدع نفســـه ولا يتحدث عن عدم القدرة على الكلام.

يعتقد درويش أن للإنســـان الحق فى الاختيار ويمكنه أن يعيش حياة راكدة طبيعية رتيبة مع الخوف و يمكن يجعل نفســـه عرضة للقدر أو يهزم هذا الخوف ويواجه بنفســـه عاصفة أحداث الحياة ليغير ما هو عليه. بالنظر إلى روحه الإنســـانية والملحمية فهو لا يخـــاف من الخطر ويفضل متعة تحقيق الحرية مع الخوف على القدرية: أختَارُ يا ابنَ اللهِ ... أى سَـــبيلٍ؟ / أأكفُرُ بالخلاصِ الحلو / أم أمشِى؟ وَلَو أمشِى وَأحتَضِرُ؟ / أقولُ لَكم: امَاماً أيها البَشَرُ!. (درويش، ٢٠٠٥: ١٦٦/١)

اما شاملو بسبب هيمنة الروح الملحمية، يعتبر الإنسان حرا فى أن يتهرب من المسؤولية ويقنع نفسه بأنه لا يستطيع اختيار مسار حياته بإرادته الحرة فيقتنع بماهية محددة سلفا أو يمكنه التغلب على قلقه واختيار طريق خطير يمنحه مجد الحرية: يمكن قيادة السفينة على البحر بأى شكل من الأشكال / يمكنک قيادة قارب فى حالة سكر برفقة حبيب فى عزلة البحر الهادئة / تحت نظرات القمر و مع أغنية الملاح يمكن عزف السيتار(سه تار) و تقبيل شفة / ولكن فى تلک الليلة أيضا ينهض الصياد البطل / الذى يرفع شراعه تحت عيون العاصفة / على منحدر الهاوية المظلمة من أمواج البحر المخيفة / لإخراج ولادة الحياة و نهرها من فم الموت. (شاملو، ٢٠١٥: ١٦٩)

هذه الروح الملحمية لدرويش وشاملو هى انعكاس واضح للروح المتمردة لسارتر الذى يرى الحرية مظهرا للتغلب على الخوف والتحرک نحو مجهولات عالم مفتوح لا نهاية له.

امتزجت العاطفة الملحمية بروح درويش، و هو ينطلق من أجل الحرية فى طريق خطير يخلق خوفا كبيرا فى وجود كل إنسان لكن روحه المتمردة تدرک قيمة الحرية وتتغلب على القلق ولاتتهرب من المسؤولية التى يتحملها وتشرع فى خوض مغامرة كبيرة: عَلَى أن أنسَى لِأنفَضَ عَن يدِى سَلاسَلَ الطُّرُقَ الكثِيرَة / وَعَلَى أن أنسَى هَزَائِمِى الأخِيرَة كى أرَى أفُقَ البِدَاية. (درويش، ٢٠٠٥: ٣/ ٩٥)

يرى شاملو الحرية أنها هى الشجاعة فى مواجهة العالم الخارجى والحرية فى رأيه هى القتال ببسالة فى ساحة الوجود. والانسان الذى يقصده شاملو هو شخص يختار ويسهّل الطرق الوعرة لإرضاء روحه المغامرة والمتلهفة: جلس رجل من خوف رياح الأحداث / انطلق رجل من صاعقة الأحداث / هذا اختار العار واتخذه درعًا / وذاک أسرع نحو الشرف بدون درع. (شاملو، ٢٠١٥: ٣١٩)

هذه النظرة المشتركة فى شعر درويش وشاملو حول الحرية المحفوفة بالمخاطر مظهر من مظاهر تأكيد سارتر على تقدم الوجود الإنسانى وتغيير الماهية البشرية طوال الحياة وأن الإنسان هو صانعه الفريد.

من يصبح مسؤولا عن حرية الآخرين فهو يواجه الخوف؛ يعتقد درويش أن الطريق

إلـــى الحرية هو اجتياز الخوف وتحمل أعباء المســـؤولية. وهو يعتقد أن حريته وحرية الفلســـطينيين تعتمد على مقاومة الظروف الصعبة التى فرضها العدو عليهم: ألو ... أريدُ مُحَمَدَ العَرَب / نَعَم! مَن أنت؟ / سِـــجِينٌ فِى بَـــلادِى / بِلا أرضٍ / بِلا عَلَم / بِلا بَيتٍ / رَموا أهلِى إلى المَنفَى / وَجاؤوا يشـــترونَ النَارَ مِن صَوتِى / لِأخرُجَ مِن ظَلام السِجن ... / مَا أفعَلُ؟ / -تَحدّ السِـــجنَ وَالسَجّانَ / فَإن حَلاوَةَ الإيمَانِ / تُذِيبُ مَرَارَةَ الحَنظَل!. (درويش، ٢٠٠٥: ١٦٦/١)

شاملو يمتلک شـــخصية متمردة وشـــجاعة ومغامرة لايخاف من السجن والتعذيب ويتحمل مصاعب الحياة من أجل تقرير مصيرها وتحقيق مجد الفردية فيثبت أنه موجود فى هذا العالم، ومن خلال اجتياز العقبات والتغلب على الخوف من المسؤولية يحقق الحرية فيستحق التبجيل: والآن أنا الذى اجتزتُ كل تحيراتى وصولا إلى قمة جُلجتا هذه / الآن أنا الذى قد خلعت مسمار الصليب من راحة يدى بأسنانى / والآن أنا من يدوس برجله الصليب المقلوب واقفا مرفوع القامة كارتفاع الصراخ. (شـــاملو، ١٣٩٤: ٤١)

هذه الفردية واحترام الذات لدى درويش وشـــاملو هـــى مظهر من مظاهر أصالة الوجود التى يؤكد عليها ســـارتر ويعتقد أن حرية الإنســـان تعتمد على منحه وجودًا مستقلًا وديناميكيا ينبعث من قدرته على السير فى طريق الكشف والمغامرة.

الحرية: عدم الإيمان بالقوى الميتافيزيقية

ينكر سارتر وجود الله ويعتبره انتهاكا للوجود الإنسانى ويقول عن هذا: «لا أستطيع أن ألجأ إلى الله كأساس للحق والفضيلة لأن الله، وفقا لقول نيتشه، قد مات. ألاحظ أننى المصدر الوحيد لأى معنى أو حقيقة أو قيمة يمتلكها عالمى.» (سارتر، ٢٠٠٧: ٤٣) يرى ســـارتر أن الإنسان هو ســـيد مصيره ولم يخلقه أى خالق. يقول فى مسرحيته الشيطان والله: "الإنســـان وحده هو منبع المعجزات. لايوجد أحد سواى وأنا أقرر أن أفعل شيئًا ســـيئًا أو أن أكون مصدر الخير. أنا من أتهم نفســـى وأنا الوحيد الذى يغفر لنفسى. أنا إنسان و إذا كان الله موجودا فإن الإنسان لا يساوى شيئا". هذا النوع من التفكير يجعل الناس يعتمدون على البشر وقدراتهم وحقهم فى الاختيار بدلاً من الإيمان بالميتافيزيقا

وخلق الملاحم. «بناءً على فكرة سارتر، لم يتغير شيء حتى بافتراض وجود واجب الوجود. يقول: "الوجودية تؤمن بأن البشرية محكوم عليها بخلق الإنسانية في أي لحظة دون أي دعم وبدون أي مساعدة".» (سارتر، ٢٠١٠: ٤١) أي أن الإنسان لا يستطيع التغلب على مشاكله بالقوى الغيبية بل يجب عليه الاعتماد على جهوده الخاصة.

رغم أن درويش ليس شاعرًا دينيا لكن إلحاد سارتر وجرأته لا يظهران في فكره فيما يتعلق بالإيمان بالله لكنه بسبب معاناة التشرد و احتلال فلسطين،في وقت ما، يشعر بالحزن والغضب واليأس من أي قوة خارقة للطبيعة ويعتقد أن سر الانتصار هو الاعتماد على نفسه فقط و يفضل القوة البشرية على مساعدة الغيب ويعتبر الحرية نفيا للإيمان بمساعدة قوة غيبية: نَحنُ لِلنِسيانِ قَد جِئنَا تَقدِيمَ المَدَائِحِ / لِإلهٍ فَرَّ مِن خَيمَتِنَا / وَاختَفَى حِينَ خَرَجنَا نَجمَعُ الصَيدَ لَهُ. (درويش، ٢٠٠٥: ٣ / ٢٦)

يعيش شاملو في ظروف سياسية واجتماعية صعبة ، والاستبداد يؤذي روحه الثائرة، وبسبب الاختناق وانعدام الحرية فهو غاضب ويعتبر أي قوة غير الإنسان أسطورة. في تفكير شاملو كل الأشياء تتمحور حول الإنسان وكل تغيير يتم بواسطته وليس بواسطة قوى غيبية: أليس الإنسان معجزة؟ / إنسان .. الشيطان الذي أسقط الله وسَجنَ الدنيا وحطمَ السجون! مزقَ الجبال، وكسر البحار، وشرب النيران وحوّلَ المياه إلى رماد. (شاملو، ٢٠١٤: ٢٧٣)

إن إيمان درويش وشاملو المشترك بإنكار الأساطير وعدم الإيمان بالقوى خارج كوكب الأرض هو انعكاس لتفكير سارتر الإلحادي وإنكاره لواجب الوجود ولكن صراحة كلام شاملو في هذا السياق أقرب كثيرًا إلى جرأة سارتر.

في قصائده الملحمية ينتقد درويش أولئك الذين وقعوا في أسر الحتمية وبدلاً من الاعتماد على إرادتهم اعتمدوا على مساعدة خارقة للطبيعة ودعوات من أجل الحرية. وهو يسخر من الخيال البعيد لبعض أبناء وطنه ويعتبر أنه من خداع الذات الأمل في قوة أخرى غير الإرادة البشرية: هذه أصنَامُكم فَلتَعبدوهَا مِثلَمَا شِئتُم. كلُوا التّمرَ. كلُوا أسمَاءَنَا. (درويش، ٢٠٠٥: ٢٨/٣)

إن مقاربة شاملو الواقعية للوضع السياسي والاجتماعي تجعله يكره الأسطورية

ويعتبرها عدوًا لاستقلاله الوجودى. من وجهة نظره ، الإنسان المعاصر هو رب حياته، وكل ما يحدث لـــه هو نتيجة اختياره وإرادته الحـــرة: آه / هؤلاء الناس يبحثون عن الحقيقة فى الأســـاطير فقط/ أو لايعتبرون الحقيقة إلا نوعا من الأسطورة / ونارى لم تشـــتعل فيهم/ لأننى قلت آخر كلمة عن الســـماء / دون أن أذكر اسم السماء بنفسى. (شاملو، ٢٠١٤: ٥٨٧)

إن إجماع درويش وشاملو على أن الإنســـان هو الخالق والبانى الوحيد لذاته هو مظهر واضح من مظاهر تأليه سارتر للإنســـان الذى يعتقد أن وجود الإنسان وإرادته مستقلان وخاليان من أى اعتماد على إرادة الله.

بعد حرب الأيام الســـتة بين إسرائيل والعرب ، طغى اليأس على فلسطين وشعراء المقاومـــة لفترة من الزمـــن ، وبعد مصالحة بعض الدول العربية مع إســـرائيل، شـــعر الفلســـطينيون بالوحدة أكثر ، واستنتجوا هم ودرويش أن بلادهم تُركت وحيدة فى هذا العالم كما نسيهم الله وفقط إرادة الفلسطينيين يمكن أن ينقذهم: نَامِى .... عُيونُ اللهِ نَائِمَة / عَنا، / وَأســـرَابُ الشَـــحَارِير / وَضَمَادُ جُرحک زَهرَةٌ ذَبَلَت! / فِى السَفحِ مَهجُور / لَكنَّ عَينَ أخِيک سَـــاهرَةٌ / خَلفَ الضبابِ، وَوَحشَةَ السُورِ / وَفُؤادُهُ مُلقى عَلَى جَسَد. (درويش، ٢٠٠٥: ١/ ٣٣)

وفقًا لشـــاملو، الإنســـان هو حاكم العالم وينتصر على الجميع بقوته ولامعنى للقوة غير الإنســـان سواء كانت أرضية أو سماوية. ويذكرنا تأليه شاملو البشر بأفكار سارتر الإلحادية التى تعتبر الإنســـان إله هذا العالم: فى الشارع / و على ظهر علبة سيجار/ كتب شاعر أستاذ هذه الملحمة بدافع من اللحظة: / الإنسان هو الله/ هذا ما اقوله / إذا كان هذا تجديفًا أو حقًا خالصًا فإن الإنسان هو الله. (شاملو، ٢٠١٤: ٤٢٨)

إن النزعة المادية لدرويش وشاملو تجاه القيمة الوجودية للإنسان وحقه فى الاختيار والحرية متجذرة فى عقلانية سارتر وتأكيده على الأحاسيس والعواطف الإنسانية التى تعتبر حقيقة العالم مقصورة على الأشـــياء التى يتم القيام بها من قبل البشـــر، والإرادة الإلهية والحكمة فيه ينفى تحديد مصير الإنسان.

الحرية: الانتقال من الوجود إلى الصيرورة

يعتقد سارتر أن ماهية الانسان قابلة للتغيير وانسيابية فيقول "الإنسان موجود أولاً، إنه موجود فى هذا العالم ، ويواجه نفسه وهو ما يخلقه بنفسه، ولديه إمكانية أن يصير (صيرورة)، إن الإنسان ليس سوى سلسلة من الإجراءات ، أو جهاز ، أو مجموعة العلاقات التى تخلق هذه الأفعال. (سارتر، ١٩٧٣: ٤٢) أى أن الإنسان يشكل الخميرة التى يريدها بالعمل والجهد المستمرين وينتقل من حالة ثابتة إلى حالة امتياز. يقول سارتر عن دور الإنسان فى تشكيل حياته: «الإنسان ليس سوى خطته. لا وجود للإنسان إلا بالقدر الذى يحقق فيه خططه.» (سارتر، ٢٠١٨: ٥١) هذا التخطيط يجعل الإنسان يجتهد من أجل ازدهار مواهبه ويتجنب الكسل ويلقى بنفسه فى الطريق الخطير. «الحقيقة تقوم على تحول الإنسان والعالم، والإنسان يوجهها ويخلقها بأفعاله.» (سارتر، ٢٠١٠: ١٢) يقول سارتر فى كتاب الذباب: «لا أريد أن أتبع أسلوبًا آخر غير طريقى ويجب على كل شخص أن يبتكر أسلوبه الخاص.» (سارتر، ١٣٥٣: ١٢٧) لذلك لا يؤمن الإنسان الحر بماهية محددة سلفًا ويصنع مستقبله بمشاريعه وخططه الجديدة.

وفقًا لدرويش، يمكن لأى شخص أن يتذوق طعم الحرية من خلال المحاولة والمخاطرة باستمرار ويجب أن يعرف أنه وحده فى هذا الطريق ومقاومته و إرادته سوف تنقذه من الأسر. لذلك على المرء أن يتقدم باستمرار ويتحمل المصاعب: إنَني مَندوبُ جُرح لا يساوِمُ / عَلَمَتنِى ضَربَةُ الجَلّادِ أن أمشِى عَلَى جُرحِى / وَأمشِى ... ثُمَ أمشِى / وَأقَاوِم!. (درويش، ٢٠٠٥: ٢١٩/١)

شاملو هو الفارس الذى يدعو فى العصر الجديد إلى وحدة وعظمة الإنسان ويلخص الإنسانية فى العمل والديناميكية. يجب على الرجل الحر من وجهة نظره أن يركب الخطر وليس الاعتماد على الأمن المتكرر لأن الطبيعة البشرية يجب أن تمضى قدما: أنت تختار عيش الراحة والامن ولكنى سأواجه الموقف / خُذ مكانًا آمنًا / وانا سأسلك طريق الخطر!. (شاملو، ١٣٩٤: ٦٩٠)

الحركة المستمرة فى مسار التميز لدى درويش وشاملو تنبعث من فكرة سارتر عن تقدم الوجود على الماهية والتى تنسب المرونة والتحول إلى الماهية ولا تعتبرها عملية

تلقائية تتم برمجتها من قبل شـــخص بل اســـتقلال الوجود الإنسانى يلهم له أن يشكل كيانه الخاص بحرية كما يشاء.

و درويش لديه إرادة فولاذية، وهو يعتبر الإنســـان مركز كل التفاعلات فى العالم. من وجهة نظره ، الإنســـان هو سيد نفسه ويبنى نفسه ومستقبله بقدراته. و مفتاح النصر والحرية هو الخروج من حالة الوجود الى الصيرورة ، وهذا يتوقف على نسيان الماضى والتخطيط للمستقبل: صَنَعتُ أُلوهَتِى / بِيدِى، آلِهَةُ القَطِيعِ مُزَيفَة. / السِرُّ فِى الإنسَانِ، / وَالإنسَانُ سَيدُ نَفسِـــهِ وَسِيدُ نَفسّهِ وَسُؤالِه / لا عِلمَ إلّا مَا يرَاه الآنَ، / وَالمَاضِى دُمُوعٌ مُترَفَة. (درويش، ٢٠٠٥: ٣/ ٧٦)

يعتبر شاملو ماهيته ظاهرة ديناميكية وسلســـة تنمو، وهو إنسان يسعى إلى تطور كيانه ويتجنب التوقف فى الماضى ويســـعى إلى شكله النهائى فى المستقبل ويستكشف الكرامـــة فى تحديث كيانه: أليس / لا أحد / هـــل كان كافياً أن أصير قدرى؟ / أنا / صرخت فقط / لا! / تعبت من الغرق / أصبحت صامتًا / كنت صوتًا / – شـــكلًا بين الأشـــكال – / ووجدت معنى. / لقد نشأت / وأصبحت / ليس مثل برعم / زهرة / أو جذر / أو مثل برعم / أو بذرة / أو مثل غابة– / بل حقيقيا / مثل رجل عادى / شهيد / حتى تصلى له السماء. (شاملو، ١٣٩٤: ٧٢٨)

هذه النظرة المشتركة لدى درويش وشاملو بأن الإنسان يكتسب حريته على أساس تحوله الخاص هى مثال واضح على تأكيد ســـارتر على المستقبلية والمثالية التى تجعل الإنسان يسعى جاهدا لاستخدام موارده الخاصة.

حرية التمرد على الوضع الراهن

ســـارتر ليس غافلا عن تأثير العوامل البيئية على صنع الإنســـان ويعتبر الإنسان نتاج العالم من حوله فيقول: «الانســـان قبل أن يكون كائنا يصنع نفســـه، هو كائن من صنع الطقس والأرض والعرق والطبقة والوقت والتاريخ والمجتمع الذى هو جزء منه.» (سارتر، ١٩٧٧: ٤٤١) لكن هذا لا يتعارض ولا ينتهك حرية الإنسان. الحرية من وجهة نظر سارتر يعنى عدم الاستسلام للظروف الحالية. «ينتقد سارتر فكرة أننا غير قادرين

على تغيير وضعنا الراهن وطبقتنا الاجتماعيـــة وأمتنا وعائلتنا وأنه ليس لدينا حرية فى اكتساب القوة والثروة وأننا لا نســـتطيع السيطرة على شهواتنا ورغباتنا ويعتبرها فشلا كبيرا.» (ســـارتر، ١٩٦٦: ٦١٤) إنه يعتقد أن الماهية البشرية ليست محددة سلفا وأن الإنســـان لديه القدرة على تغيير ظروفه الحالية. يقول سارتر عن دور الإنسان فى تغيير بيئته: «الإنســـان هو الذى يعطى معنى لبيئته سواء أصبحت البيئة عاملا مدمرا أو مســـاعدا، فإن ذلک يعتمد على اختيار خطتى.» (سارتر، ١٩٧٧: ٥٠٩) وعليه فالحرية انتفاضة للوصول الى التحول وتغيير الوضع الراهن وتحقيق التميز فى المستقبل.

ويـــرى درويش الحرية على أنها انتفاضة ضد الوضع الراهن وينتقد الفلســـطينيين الذين هم على استعداد لتقديم تنازلات. إنه يوبخ المؤمن بمصير محدد سلفا ويذكره بحق الإنســـان فى اختيار أن الطبيعة البشرية تتغير بإرادته. لذلک الحرية لا تتحقق بالركود واليأس ولكن عليک أن تتمرد على كل ما هو موجود: إنّا حَمَلنَا الحُزنَ أعواماً وَمَا طَلَعَ الصَبَـــاحُ / وَالحُزنُ نَارٌ تُخمِدُ الأيامُ شَـــهوَتَهَا / وَتُوقِظُها الرِياحُ / وَالرِيحُ عِندَک، كيفَ تُلجِمُهَا؟ / وَمَا لَک مِن سِلاحٍ / إلّا لِقَاءُ الرِيحِ وَالنيرانِ. (درويش، ٢٠٠٥: ١/ ٦٨)

إن روح شـــاملو التى لا تقهر تبحث عن الحرية فى الحركة والتمرد وتعتبر الخضوع مصدر خزى الإنســـان و ترى تمزيق ستار الصمت والكسل والمصالحة دليلا على حرية الإنســـان، و هو بنبرة ساخرة يحث الناس المحاصرين فى قبضة الاستبداد واليأس على التمرد فى وجه هذا الوضع البائس: أينما يختبئ الخوف والجشع والرقص / أينما يوجد الموت / أينما يعانى الإنســـان ليل نهار / أينما يصرخ الحظ الثائر / أينما يتحول الألم نحو الإنســـان / أينما تتحدى الحياة شـــخصا حيا للقتال / أخرِج من الغمد/ نصلا ذا حدين / قد صُنع من قوتک وضعفک !. (شاملو، ١٣٩٤: ١٥١)

إن موقف درويش وشاملو الملحمى ورؤيتهما المشتركة حول ضرورة إيقاظ الناس وعملهم للمطالبة بحقوقهم هو مظهر من مظاهر فكرة ســـارتر التى يعتبر الإنسان مخلوقًا يهرب من الركود، ونظرته إلى الأمام تجعله يكسر باستمرار كل الأعراف من أجل تغيير وضعه الحالى.

من وجهة نظر درويش، ليس للإنسان دور أو سلطة فى اختيار أن يكون أبا أو فقيرا

أو مولودا غنيا ولكن يمكنه تغيير ظروفه الحالية وتتويج نفسه ورفع مكانته. إنه حر لأن لـــه الحق فى الاختيار وهذه هى الفردية وأصالة الوجود: لا شـــأنَ لِى فِى أصلِ أُمّى / سَيانِ، إن كانَت أمِيرَة / أو فَقِيرَة. / أنا واحدٌ / أحَدٌ / مَلَک. (درويش، ٢٠٠٥: ١/ ٧٨)

اما الســـمة المميزة لشاملو هى التمرد فهو لا يؤمن بذاتية مسبقة الصنع بل ينكر أن يرث الانســـان السلوک البشرى من أسلافه. إنه يتخلص من كل الأمور الساكنة ويرى ماهيته كعنصر ديناميكى لا يتم نســـخه مـــن خصائص الماضى: لأنى أكره كل ما معكم ، وكل مـــا كان مرتبطًا بكم / من أطفالى و مـــن والدى / من أحضانكم ذات الرائحة الكريهـــة /و من أيديكم التى قد صافحت يدى مرارا لغـــرض الخداع / من غضبكم ولطفكم / ومن جســـدى الذى ورث تشابها من أجســـادكم من دون إرادتى. (شاملو، ٢٠١٤: ٣٠٥)

إن هذا النهج الملحمى والنقدى لدرويش وشاملو تجاه الوضع القائم وتجنبهما الحتمية تقترب من نظرة سارتر فى عدم إيمانه بالطبيعة الثابتة وهو يعتبر الإيمان باستقرار الطبيعة البشرية انتهاكًا لحريته وحقه فى الاختيار، و فى هذه الحالة تكون لغة شاملو أكثر حدة وصراحة من لغة درويش وترتبط بالفردانية والنرجسية.

الحرية تعنى الموت و العدم

بالنسبة لسارتر الموت هو الموضوع الذى يقود الإنسان إلى استنتاج مفاده أنه كائن حر. ويقول عن العلاقة بين الموت والحرية: «هنا يحيط العدم بالكون بشـــكل واســـع و ذلک فى لحظة من الوجود، والعدم يشبه شيئا جاء من خارج العالم.» (سارتر، ١٩٦٦: ٢٢). التفكير فى الموت يجعل الإنســـان يعرف أنه ليس لديه متسع من الوقت فى هذا العالم، أنه حـــر فى تجريب طرق مختلفة للوصول إلى أهدافـــه حتى تأتى وفاته. يعتقد سارتر أن موت الإنسان هو عودته إلى الماضى ويقول: «وقت الموت، نفكر بما كنا عليه منذ البداية لكن لم تعد لدينا الفرصة لنصبح ما ينبغى أن نكون.» (سارتر، ١٣٨٩: ١٤٠) عقليـــة الموت هذه تخلق نوعًا من الخوف فى الشـــخص حتى يقدر اللحظات والفرص وتصبح حياته هادفة. يعتقد ســـارتر أنه «كلما كانت الحياة أكثر عبثية أصبح الموت لا

يطاق.» (سارتر، ٢٠١٠: ٨٨) لذا فإن فكرة العدم تجعل مفهوم الحياة ذا معنى وقيما بالنسبة للإنسان ويحثه على بذل الجهود.

درويش شاعر ملحمى لايخاف الموت لأسباب دنيوية لكنه يعرف أن الحياة قصيرة وأن الإنسان حر ويختار ما دام يعيش فى هذا العالم فخوفه من الموت لا يسبب له العزلة واليأس بل يعزز إيمانه بأنه حر وأن هناك خيارات وطرق مختلفة له الحق فى اختيار أحدها لتقرير حياته ومصيره ومستقبله، لأنه لاخيار بعد الموت وبالتالى ليست هناك حرية: كانَ عُمراً قَصِيراً / وَ مَوتاً طَوِيلاً / وَأَقَفتُ قَلِيلاً / وَكَتَبتُ اِسمَ أرضِى عَلَى جُثَّتِى / وَعَلَى بُندُقِية / قُلتُ: هذا سَبِيلِى / وَهذا دَلِيلِى / إلى المُدُنِ السَاحِلِية. (درويش، ٢٠٠٥: ٢ / ٣٦)

شاملو هو أيضا شاعر ملحمى والموت فى معجمه لا تفوح منه رائحة الخوف، بل هو مفهوم مولد يعطى معنى للحياة البشرية ويشرح مفهوم الحرية. وهو يعتبر الحياة بمثابة لحظة يجب أن يستكشفها بوعى ويصل إلى ما يريد فالحياة فى نظرته: بحثٌ / وإيجادٌ / ثم اختيار ما تريد / وأن تلقى من عاتق نفسک الأعباء والاحمال- / فإذا كان الموت أكثر قيمة من كل هذا. هيهات أن أخاف الموت أبدًا. (شاملو، ٢٠١٤: ٤٦٠)

إن نظرة درويش وشاملو الإيجابية والعقلانية للموت وعلاقته بمفهوم الحرية هى انعكاس لوجهة نظر سارتر بأن الموت وما ينتج عنه من خوف هو سبب وعى الإنسان بوجوده المستقل مما يؤدى إلى فهم واقعى للحياة والعالم من حوله واستخدام الإمكانيات المتاحة قدر الإمكان لتفجير الطاقة الكامنة فى طبيعته.

بسبب الخوف من الموت، يدرک درويش أنه تُرک وحيدًا فى هذا العالم لاختيار الخيارات المتاحة ليعبر إلى مستقبل توجد فيه أية احتمالات. إنه يعلم أن فرصته فى هذا العالم محدودة لذلک يجب عليه أن يختار فى زمن حياته ويلبى رغباته وإلا فإنه سيفضل الموت على الحياة التى ليس لديه فيها إرادة أو خيار: يَخَيلُ لِى أنّ عُمرِى قَصِيرٌ / وَأنى عَلَى الأرضِ رائِحٌ / وَلَو بَقِيت فِى دَمِى / نَبضَةٌ وَاحِدَة / تُعِيدُ الحَياةَ إلَى / لَو أنى أُفَارِقُ شَوقَ مَسَالِكنَا الصَاعِدَة / لَقُلتُ: أُدفُنُونِى حَالاً / أنا تَوأمُ القِمَةِ المَارِدَة. (درويش، ٢٠٠٥: ١/ ١٧٢)

كما يعتبر شـــاملو الموت بلورة للحرية وهو موت يظهر أن للإنســـان إرادة وسلطة تفصله عن ماهيته الثابتة. إنه يرى الحياة بدون اختيار واع كأســـرٍ مهين وفيرى الموت معنى للحياة البشـــرية ودليلا على الحرية: وعندما تجدف الطيور المهاجرة فى البحيرة المقمرة/ يا للســـعادة أن تغادر و تبتعد/ نوم آخر بمســـتنقع آخر! / يا للسعادة أن تطير، أن تتخلص/ يا للسعادة أن تموت حرّا حتى لو لم تعش حرّا. (شاملو ، ٢٠١٥: ٥٤٥)

إن الظروف الاجتماعية والاختناق السياســـى الســـائد فى المجتمعين الفلسطينى والإيرانى تجعل فكرة الموت لدى درويش وشـــاملو رمزا للمقاومة وطريقا مؤديا إلى الحرية الوجودية للإنســـان، وتجعلهما يتفقان مع سارتر فى أن العالم ليس مكانا للجبناء وأن البصيرة الناتجة عن الخوف من الموت تدفع الانســـان إلى القيام بالاعمال و بذل الجهود والاختيار بحرية.

النتيجة

بناء على ما توصل اليه البحث

ينظر درويش وشـــاملو إلى الحرية بنهج فلسفى وكلاهما يعبران عن أفكار سارتر الوجودية بلغة الشـــعر. يعكس الموقف الإنســـانى لدرويش وشاملو آراء سارتر حول الالتزام والمســـؤولية الاجتماعية وتقدم الوجود على الماهية وتحول الماهية البشـــرية وأصالـــة الوجود ونفى القـــوى الغيبية والتخطيط ومحاولة مـــن أجل التطور، والخوف والتفكير فى الموت والاســـتبصار. تجلت مظاهر حرية سارتر بشكل كامل فى قصائد كلا الشـــاعرين لكن نهج شاملو يأتى أكثر وضوحا وصراحة فى إبراز بعض المكونات الوجودية لمفهوم الحرية ويبدو أقرب إلى أفكار ســـارتر. على سبيل المثال فيما يتعلق بعلاقة الحرية بنفى القوى الخارقة للطبيعة ، فإن شـــاملو يظهر أكثر جرأة، ومثل سارتر، ينكر وجود واجب الوجود ويعتبر الإنســـان خالق نفسه. كما أنه فى تبيين العلاقة بين الحرية والتمرد على الوضع الراهن نجد شاملو أكثرحدة وصرامة فى التعبير عن مواقفه حول تقدم الوجود البشـــرى على ماهيته ونفى الحتمية والإيمان بالماهية المحددة مسبقا. إن الظروف الاجتماعية السيئة للفلسطينيين بعد الاحتلال والقمع الصهيونى، والتهجير

والنفي والفقر الاقتصادي والفكري والاستبداد الداخلي في إيران في عهد بهلوي كلها أسباب تعزز الرغبة في الحرية لدى درويش وشاملو وتجعل النهج الملحمي يسيطر على قصائدهما وتضع الانسان في مركز كل الشؤون حيث يأخذ الشاعران مفهوم الحرية إلى ما هو أبعد من مستوى الحقوق الفردية والاجتماعية ويعتبرانها سببًا للتميز البشري. إن تجربة السجن والتعذيب والمقاومة و معارضة الظلم تُلهم درويش وشاملو أن الإنسان هو مركز كل الشؤون وأن الحرية لا تتحقق إلا بيديه ولا يولد أي إنسان أسيرًا أو عبدًا وهو الذي يصنع مصيره ويفجر الطاقات الكامنة في وجوده.

منابع

العربية

الخفاجي، محمد عبدالمنعم. (١٩٩٥م). مدارس النقد الأدبي الحديث. ط١. لامک: الدار المصرية واللبنانية.

درويش، محمود، الديوان. (٢٠٠٥م). الأعمال الأولى. ج٤. ط١. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر.

رشوان، محمد مهران. (١٩٩٢م). مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة. الفجالة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

سارتر، ژان پل. (١٣٨٠ش). اگزيستانسياليسم و اصالت بشر. ترجمه مصطفى رحيمي. تهران: قطره.

ـــــــــــــــــ . (١٣٤٨ش). اگزيستانسياليسم يا مكتب انسانيت. ترجمه حسينقلي جواهرچي. چ٣. تهران: مؤسسه مطبوعاتي فرخي.

ـــــــــــــــــ . (١٣٨٦ش). بازپسين گفتگو. ترجمه جلال ستاري. تهران: نشر مركز.

ـــــــــــــــــ . (١٣٧٨ش). روانكاوي وجودي. ترجمه احمد اسعدي نژاد. تهران: جامي.

ـــــــــــــــــ . (١٩٦٠م). سن الرشد. ترجمة سهيل ادريس. ط١. بيروت: دار الأدب.

ـــــــــــــــــ . (١٣٥٣ش). مگس‌ها. ترجمه سيما گويان. چ١. لامک: مازيار.

ـــــــــــــــــ . (١٣٨٩ش). هستي و نيستي. ترجمه عنايت‌الله شكيباپور. تهران: دنياي كتاب.

ـــــــــــــــــ . (١٩٦٦م). الوجود والعدم، عبدالرحمن بدوي. بيروت: منشورات دار الأدب.

الفارسية

شارونی، حبیب. (د. ت). فلسفة جون بل سارتر. الاسكندرية: منشأ المعارف.

شاملو، احمد. (١٣٩٤ش). مجموعه آثار احمد شاملو (دفتر يكم). چ١٢. تهران: نگاه.

كامل، فؤاد. (١٩٩٣م). أعلام الفكر الفلسفي المعاصر. ط١. بيروت: دار الجيل.

نوالی، محمد.(١٣٧٣ش). فلسفه‌های اگزیستانست و اگزیستانسیالیسم تطبیقی. چ١. تبریز: دانشگاه تبریز.

الانجليزية

Sartre, Jean Paul. (1973). Existentialism & humanism. EVRE METHVEN LTD. London.

_____. (1977). Being & Nothingness, An Essay on Phenomenological Ontology, Tr. by Hazel E. Barnes, Newjersy: Citadel press.

_____. (1966). Being and Nothingness. Translated by Hazel E. Barnes, University of Colorado.

_____. (2007). Existentialism is a Humanism. Translated by Card Macomber, Yale University Press.